محافظة الإسكندرية
الاتحاد الاشتراكى العربى

الخطر الصهيونى

ومشكلة تحويل مجرى نهر الأردن

مطبعة جامعة الاسكندرية
١٩٦٤

محافظة الاسكندرية

الاتحاد الاشتراكى العربى

الخطر الصهيونى
ومشكلة تحويل مجرى نهر الأردن

مطبعة جامعة الاسكندرية
١٩٦٤



الخطر الصهيونى
ومشكلة تحويل مجرى نهر الأردن

****

اشترك فى اعداد هذه الدراسة

الدكتور محمد عبد المعز نصر

الدكتور محمد ابراهيم حسن

الدكتور محمد على أبوريان

الدكتور محمد عاطف غيث

الأستاذ حلمى مرزوق

فهرس

صفحة

تصدير

منذ أن وجه السيد الرئيس جمال عبد الناصر دعوته إلى عقد مؤتمر القمة العربى ، وقلوب العرب تتجه إلى القاهرة ، تترقب فى لهفة ما سوف يتمخض عنه هذا المؤتمر الخطير لمواجهة مؤامرات الاستعمار والصهيونية فى العالم العربى .

إن وجود اسرائيل فى منطقة تمثل مكان القلب من الأمة العربية ، مصدر تهديد خطير لأمن العرب وتحد سافر لارادتهم وانكار لماضيهم ولرسالتهم فى الحضارة العالمية ، وسلب لحقوق مقررة بالحق والقانون والتاريخ .

ولم يعد هناك فى الوطن العربى من يجهل ارتباط المخطط الاستعمارى بالمخطط الصهيونى الذى يهدف إلى تفتيت الأمة العربية وتعويق نضالها فى سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية والتحكم فى اقتصادياتها والتسرب إلى أعماق ثقافتها وطمس المعالم الفكرية التى تنبع من تراث العرب الأصيل ، ولم يعد هناك من يجهل أيضاً خطط اسرائيل فى التوسع وسلب الأرض العربية وقطع الطريق على محاولات العرب فى سد ثغرات التخلف الاقتصادى والتكنولوجى التى خلفها الاستعمار وراءه فى كل مكان من الوطن العربى . ولقد أيقن الاستعمار المتحالف مع الصهيونية أن الجمهورية العربية المتحدة قد قطعت شوطاً بعيداً فى اعادة بناء المجتمع ، ووطدت أقدامها فى اتجاه التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وأصبحت مركزاً للإشعاع ، والمثل الذى يحتذى فى كل أرجاء الأمة العربية . كما أيقنت الصهيونية أن كل تقدم تحرزه الجمهورية العربية المتحدة يقرب المسافة بين الشعوب العربية ، وينبىء بأن ساعة اسرائيل قد أزفت . ولهذا يحاول الاستعمار مع الصهيونية تأخير عقارب الساعة وتحدى حتمية التاريخ .

ان موضوع تحويل مجرى نهر الأردن جزء من المخطط الصهيونى الاستعمارى ، تحاول به اسرائيل ايقاع الفرقة بين العرب من ناحية والاعتداء السافر على حقوق العرب وتثبت أقدامها فى قلب الوطن العربى واتاحة الفرصة أمام المزيد من المهاجرين الصهاينة للاقامة الدائمة على الأرض العربية من ناحية أخرى ، وتتوهم اسرائيل انها بهذا الاجراء سوف تفرض على الأمة العربية التسليم بالأمر الواقع . ولكن العرب وطدوا العزم على مواجهة المؤامرات الصهيونية وعدم التفريط فى حقوق شعب فلسطين مهما كلفهم هذا من دم أو عرق .

وبالأمس ناقش مؤتمر الأمناء والأمناء المساعدين بالاسكندرية موضوع النزاع بين الجزائر والمغرب ، وكشف المخطط الاستعمارى وراء مسألة الحدود ، واليوم يتقدم الاتحاد الاشتراكي العربى بمحافظة الاسكندرية بهذه الدراسة المتكاملة عن مسألة الصهيونية واسرائيل بمناسبة ما تهدد به لتحويل مجرى نهر الأردن ليتعرف جمهرة الأعضاء على أبعاد المسألة ويعى النتائج الخطيرة التى يمكن أن تترتب عليها فى المدى البعيد والقريب لمستقبل الأمة العربية .

وانى أشعر بالامتنان العميق للسادة أساتذة الجامعة الذين استجابوا لدعوتى واسهموا مشكورين فى انجاز هذه الدراسة .

والله الموفق ..

محمد حمدى عاشور
محافظ الاسكندرية

مقدمـــة

كان العدوان الثلاثى فى أواخر عام ١٩٥٦ قمة مؤامرات اسرائيل ضد الأمة العربية . فلقد تصور قادتها ومن يسيرون فى ركابهم من الاستعماريين أن ضرب الجمهورية العربية المتحدة سوف يمكن لاسرائيل ويفتح الطريق أمام أحلامها فى التوسع والسيطرة . ولكن مقاومة الشعب العربى البطولية ويقظة الرأى العام العالمى دكت أوكار التآمر ، وتهاوت هذه الأحلام على رؤوس من سهروا على تدبيرها . وقد أيقنت اسرائيل أن قضية وجودها داخل جسم الأمة العربية أمر لن يطول وأن مصيرها المحتوم ليس الا مسألة وقت .

إن اسرائيل وهى تعلم أنها لن تستطيع البقاء فى وجه تصميم العرب على رد حقوق شعب فلسطين اليه تحاول أن تفرض سياسة الأمر الواقع ، وتلتمس فى سبيل ذلك ايقاع الفرقة بين العرب وتشجيع النزعات الرجعية والاستعمارية التى لا تزال متبقية كجيوب لمقاومة حتمية التاريخ وتقدمية الشعب العربى . كما أنها تعمل ما وسعها الجهد فى الالتفاف حول الامتداد العربى فى أفريقيا ، وتسارع إلى تسميم البلاد الأفريقية التى نالت استقلالها حديثاً بالأفكار الصهيونية ، معتمدة فى ذلك على مساندة الاستعمار الفرنسى والبريطانى . وسبيل اسرائيل فى هذا الصدد أنواع متعددة من المعونات الاقتصادية والثقافية ، لأنها تعتقد أن مساندة الدول الأفريقية النامية فى أول مراحل نموها الاجتماعى والاقتصادى خليق بأن يمهد الأرض الصالحة لنمو الدعاوى الصهيونية وتثبيتها . ولكن الجمهورية العربية المتحدة تقاوم هذا التسلل الصهيونى وهى معتمدة على رصيدها الذى يزداد يوماً بعد يوم منذ عام ١٩٥٢ فى ميادين الصناعة والثقافة والعلم والتنمية الاقتصادية .

ولم تقتصر اسرائيل على التسلل فى قلب القارة الافريقية الناهضة ، بل أنها تحاول بمساندة الاستعمار أن تسرق المياه العربية بمؤامراتها المتكررة

لتحويل مجرى نهر الأردن لاستصلاح أكبر قدر ممكن من الأرض لتمكين أكبر عدد من الصهاينة من الاقامة فى اسرائيل ، ولتحقيق مشروعاتها العدوانية فى التوسع وتثبيت أقدامها على الأرض العربية ، والتغلب على الأزمات الاقتصادية المتكررة التى تكاد أن تعصف بها . إن اسرائيل تمنى الصهانية الذين تريد أن تستقدمهم للاقامة فيها ، والآخرين الذين يريدون أن يفروا منها ، أن المستقبل لهم على الأرض المغتصبة ، وتلوح لهم بمشروعاتها المستحيلة . إن العرب لن يسكتوا هذه المرة على أى بادرة تبدر من هؤلاء المغتصبين لتحويل مجرى النهر العربى ، ولسوف تقابلهم الأمة العربية كبنيان مرصوص . ولعلهم هذه المرة سيشربون ماء البحر بدلا من أن يتذوقوا ماء الأردن .

إن الدراسات التى يتضمنها هذه الكتيب تمثل موضوعاً واحداً متكاملا ، قصد بها القاء الضوء على الخطر الصهيونى بمناسبة اعتزام اسرائيل تحويل مجرى نهر الأردن بالقوة . والخطر الصهيونى كل لا يتجزأ . ولذلك كان لابد من كشف مؤامرات اسرائيل فى التسلل إلى دول أفريقيا النامية وتأثيرها فى السياسة العالمية وآثارها فى تسميم الجو الثقافى ومشروعاتها فى الامتداد الاقتصادى للفكاك من الحصار العربى .

وقد اشترك فى هذه الدراسة كل من :

الدكتور محمد عبد المعز نصر

الدكتور محمد ابراهيم حسن

الدكتور محمد على أبو ريان

الدكتور محمد عاطف غيث

الأستاذ حلمى مرزوق

ولا يفوتنى وزملائى هنا أن نسجل بالتقدير مبادرة السيد/محمد حمدى عاشور محافظ الاسكندرية على دعوة لجان الاتحاد الاشتراكى العربى لدراسة القضايا الحيوية التى تمس كيان الأمة العربية وتشجيعه الدائم الذى كان الحافز الأول لاخراج هذا الكتيب .

المحرر

دكتور عاطف غيث

مشكلة مياه الأردن

يقع حوض نهر الأردن فى الركن الجنوبى الشرقى من حوض البحر المتوسط ، وكان لهذا الموقع الممتاز فى قلب العالم القديم وعند ملتقى القارات الثلاث ، أفريقية وآسيا وأوروبا أعظم الأثر فى تعمير الاقليم بالسكان وفى نشأة الحضارات القديمة والأديان الكبرى وفى التوجيه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

أما من ناحية تعمير الاقليم بالسكان ، فقد وقع الحوض تحت تأثير هجرات متوالية من جنس البحر المتوسط وهو أحد الفروع الرئيسية للمجموعة القوقازية أو الأجناس البيضاء . كما كان الحوض منذ فجر التاريخ مركزاً لحضارات قديمة يبدو فيها بجلاء قوة تعاون وارتباط العوامل الجغرافية المختلفة ، من موقع ممتاز ونهر متدفق المياه وتربة خصبة ومناخ معتدل . إن موقع الشرق العربى بوجه عام وحوض نهر الاردن بوجه خاص فى قلب العالم القديم وعند ملتقى قاراته الثلاث ، هيأ له أن يكون مهبط الأديان السماوية الكبرى ومركز انتشارها ، وهكذا قدم العرب للانسانية أجل خدمة فنشروا اليهودية والمسيحية والاسلام .

وقد قسم الحوض سياسياً بين دول مختلفة تتمثل فى الأردن واسرائيل وسوريا . وكان لهذا التقسيم السياسى المصطنع من جانب الاستعمار الفرنسى والانجليزى أعمق الأثر فى تعقيد مشاكل توزيع المياه بين دول هذا الحوض .

ومن الناحية الطبيعية : يمثل حوض نهر الأردن جزءاً من الأخدود الأسيوى الكبير الذى يحتضن كل حوض البحر الأحمر ووادى البقاع بين جبال لبنان الشرقية والغربية ويمتد شمالا حتى هضبة الأناضول .. وكان من نتائج هذا الوضع الأخدودى الخاص أن تأثر الحوض بأربع ظاهرات طبيعية ، كان لها آثارها الواضحة على النظام المائى للاقليم . وتتمثل

هذه الظاهرات فى كثرة الانكسارات الجانبية وظهور السدود البركانية وانتشار طبقات اللافا وتباين نظام الانحدار .

ويقسم مجرى الأردن إلى أقسام ثلاث : من منابعه فى سوريا ولبنان، إلى بحيرة الحولة ومن الحولة إلى بحيرة طبرية ، ومن طبرية إلى البحر الميت وتتمثل المنابع العليا فى أربعة نهيرات : وهى الحصبانى وبريغت وينبعان من لبنان ، وبانياس ودان وينبعان من سوريا . والحصبانى أطولها جميعاً ويرفده على جانبه الأيسر بانياس ودان ، ويرفده على جانبه الأيمن نهر بريغت، وينبع نهر الحصبانى من مرتفعات حرمون إلى الجنوب من جبال لبنان الشرقية ، ويقطع مسافة طويلة فى أراضى لبنان بين عين عرب والحدود الجنوبية . وتتصل مياه هذه الأنهار إلى منخفض بحيرة الحولة الصغيرة التى لا تتجاوز مساحتها ١٢ كيلو متراً مربعاً . والتى يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ٧٠ متراً ، وتظهر المستنقعات إلى الشرق والجنوب من البحيرة حيث تبتعد الهضبة السورية عن المنخفض ، بينما تقل هذه المستنقعات فى الغرب حيث تقترب حافة هضبة الجليل مطلة على البحيرة .

ويخرج النهر بعد ذلك من بحيرة الحولة وسط هذه المستنقعات التى يراد تجفيفها متجهاً صوب الجنوب حتى ينتهى إلى بحيرة طبرية بعد أن يقطع نحو ١٧ كيلو متراً . ويشتد انحدار النهر قرب بحيرة طبرية التى ينخفض مستواها ٢١٢ متر تحت سطح البحر ، والتى تحاط بالمرتفعات شرقاً وغرباً . فتظهر مرتفعات الجليل إلى الغرب والشمال من البحيرة بحيث تترك بينها وبين البحيرة شريطاً من السهول يتسع فى الشمال الغربى ويضيق كثيراً فى الجنوب ،وعلى هذا الساحل الغربى تقع مدينة طبرية وهى على اتصال جيد بمدينتى عكا وحيفا عن طريق أوادى حيفا الانكسارى الذى يربط سهول طبرية بسهول البحر المتوسط . اوإلى الشرق من البحيرة تمتد الهضبة السورية التى تتدرج فى الارتفاع نحو جبل الدروز . وهنا تبدو سهول البحيرة ضيقة وتتصل فى الجنوب بوادى اليرموك الأدنى .

وبعد أن يخرج نهر الأردن من بحيرة طبرية ببضعة كيلو مترات يرفده من الشرق روافده وهو نهر اليرموك الذى ينبع من هضبة حوران، إذ تتجمع الأودية لتمثل المنابع العليا لهذا النهر . ويمثل وادى اليرموك ممراً رئيسياً يربط الهضبة الشرقية بحوض الأردن . ويتصل بالنهر بعد ذلك بعض النهيرات القصيرة مثل نهر يابس وفى الثلث الأخير من نهر الأردن يتسلم النهر رافده الثانى الرئيسى وهو نهر الزرقة ويتابع نهر الأردن جريانه بعد ذلك ويتلقى بعض الروافد من الجانب الشرقى وهو الجانب الأكثر مطراً . وقرب المصب ينساب النهر متمهلا فى مجراه الملتوى حتى ينتهى إلى البحر الميت بعد أن يخترق مساحات واسعة من المستنقعات والتربة الملحية الفقيرة .

والبحر الميت هذا بحيرة أخدودية يبلغ مستواها ٣٩٢ متراً تحت سطح البحر المتوسط ، وقاعها نحو ٧٠٠ أو ٨٠٠ متر تحت سطح البحر المتوسط فينتهى إلى البحر الميت كثير من الأودية ولا سيما من منطقتى الكرك شرقاً والجليل غرباً ، ووادى الأردن يبدو متسعاً إذ تبتعد عنه الحافات الانكسارية للهضبة مسافة بضعة كيلومترات . وهنا تمتد الأراضى التى يراد توفير المياه لديها .

مشروعات الرى فى حوض الاردن :

ويحسن بنا أن نستعرض المشروعات المختلفة التى تعرضت لاستغلال مياه الأردن وذلك للتوسع الزراعى ، ونهر الأردن هذا الذى وضعت له المشروعات عبارة عن عدد من الأنهار الصغيرة . وفى الشرق العربى أنهار عديدة لها شهرتها منذ أقدم عصور التاريخ مثل النيل ودجلة والفرات . ولكن الأردن مع ذلك من أشهر أنهار العالم لموقعه وسط الأراضى المقدسة عند الديانات السماوية الثلاث .

والمشكلة الرئيسية التى تواجه استغلال مياه الأردن هى التقسيم السياسى المصطنع لهذا الحوض . فالمعروف أن الأمة العربية كانت بعد الحرب العظمى الأولى مغلوبة على أمرها خاضعة للنفوذ البريطانى والفرنسى . ومن البديهى

أن هذه الحدود وضعت لخدمة الاستعمار ولم تراع فيها سوى مصلحة الاستعمار. وفى ذلك الوقت كان النشاط الصهيونى قوياً واضحاً ، فاستخدم اليهود نفوذهم الاقتصادى والمالى فى الضغط على بريطانيا أن ترسم الحدود وفق أهوائهم . وفعلا وضعت هذه الحدود بحيث تضم المنابع العليا لنهر الأردن وكلا من بحيرتى الحولة وطبرية داخل فلسطين . وهكذا نجحت خطة اليهود وأخذ النفوذ اليهودى يقوى فى فلسطين . وفى عام ١٩٤٨ وقعت الكارثة وانتهت الحرب بفرض اسرائيل على الشرق العربى كخنجر فى قلب العالم العربى . وأصبحت فلسطين المحتلة تضم أجود الأراضى للزراعة وأكثر الأجزاء مطراً، هذا فضلا عن المنابع العليا لنهر الأردن وبحيرتى الحولة وطبرية والوادى الأدنى لنهر اليرموك وجزء كبير من وادى نهر الأردن . وهى تضم أيضاً السهول الساحلية الخصبة مثل سهل مرج بن عامر وسهل بيسان ومنطقة شغالة . وكلها جهات تمتاز بتربتها الخصبة ووفرة مياهها . وتنتج محصولات مختلفة من الموالح والحبوب والخضروات وعلف الماشية .

وتتمثل المشروعات الرئيسية للرى فى حوض نهر الأردن فى المشروع الأمريكى والمشروع العربى والمشروع اليهودى .

المشروع الأمريكى :

يتلخص هذا المشروع فى الأسس الآتية مع ملاحظة أن الذى وضع هذا المشروع هو شركة شاس ماين الأمريكية . تحت اشراف هيئة وادى تنسى الأمريكية وذلك بناء على طلب وكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين . وقد قدم هذا المشروع إلى الدول العربية فى أكتوبر سنة ١٩٥٣ بعد أن اعتمدته الحكومة الأمريكية . وقد أعلن المستر جونستن الذى قدم هذا المشروع أنه مشروع تقريبى وقدرت التكاليف بمبلغ ١٢١ مليون دولار تتكفل بمعظمها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية :

١ — إنشاء خزان على نهر الحصبانى الذى يصب فى بحيرة الحولة ، وذلك لتخزين ١٦٥ مليون متر مكعب . ويقع هذا السد شمال الحدود بنحو ٢٠ كيلو متر . وهذا السد يفتح عند الحاجة . وتحفر قناة من خزان الحصبانى لنقل المياه نحو محطة لتوليد الكهرباء داخل حدود اسرائيل فى منطقة تسمى تل هاى . ثم تنقل هذه المياه إلى نهر بانياس وذلك لرى الأراضى إلى الشمال من بحيرة الحولة .

٢ — حفر ترعة تأخذ من نهر البانياس الذى يصب فى بحيرة الحولة وتتجه هذه الترعة جنوباً وذلك لرى المنطقة التى تقع إلى شرق بحيرة الحولة ويوسع مخرج المياه من بحيرة الحولة وتعمق القناة لتجفيف هذه المنطقة مع استعمال المياه الزائدة للتخزين فى بحيرة طبرية .

٣ — تحويل مياه نهر اليرموك إلى بحيرة ، واقامة سد على هذا النهر تأخذ من أمامه ترعة تمتد جنوباً لمسافة ١٠٠ كيلو متراً وذلك لرى اقليم الغور الشرقى وهو القسم الشرقى من وادى نهر الأردن .

٤ — تأخذ ترعة من بحيرة طبرية وتتجه جنوباً لمسافة ١٠٠ كيلو متراً وذلك لرى الغور الغربى وهو القسم الغربى من وادى نهر الأردن .

٥ — تجفيف مستنقعات الحولة وبحيرة الحولة وذلك لاستصلاح الأراضى وريها وزراعتها،وفى نفس الوقت يقل ما يفقد من المياه بالتبخر ويقل انتشار الملاريا .

٦ — استغلال مياه الوديان التى تنساب نحو وادى نهر الأردن ،إذ تمتاز هضبة فلسطين بتقطعها بعدد كبير من الوديان الجافة التى تتجه نحو حوض نهر الأردن من الشرق ومن الغرب، وتتجمع فى هذه الوديان مياه السيول أثناء فصل الأمطار وهو فصل الشتاء . وسيكون التحكم فى مياه هذه الوديان عن طريق انشاء السدود والقناطر والترع وفقاً للحاجة . ويقدر أقصى

ما يمكن استغلاله سنوياً من مياه فيضان هذه الوديان بعد المشروعات المختلفة بنحو ٧٤ مليون متر مكعب .

٧ — استثمار مياه الآبار لأغراض الرى ، ويمكن الاعتماد على مياه بعض هذه الآبار اعتماداً كلياً للرى ، كما يمكن استعمال مياه بعض الآبار الأخرى للمساعدة فى المناطق التى لا تتمتع برى دائم . وينتظر حفر مثل هذه الآبار فى الأودية التى تتجه نحو حوض نهر الأردن .

ووفقاً لهذا المشروع يبين الجدول الآتى توزيع مياه الرى ومناطق التوسع الزراعى فى حوض نهر الأردن فى اسرائيل والأردن وسوريا .

المنطقة	المساحة المقرر ريها بالمشروع دونم	كميات المياه التى يحصل عليها		
		من الأنهار مليون متر مكعب سنوياً	من الوديان والآبار مليون متر مكعب سنويا	المجموع مليون متر مكعب سنويا
اسرائيل : منطقة الحولة وماحولها منطقة الجليل السفلى والقسم الشمالى من الغور الغربى منطقة مثلث اليرموك	٤١٦ر٠٠٠ (١٠٠ر٠٠٠ فدان)	٢٨٩	١٠٥	٣٩٤
الأردن : منطقة الغور الشرقى منطقة الغور الغربى	٤٩٠ر٠٠٠ (١٢٠ر٠٠٠ فدان)	٤٩٧	٢٧٧	٧٧٤
سوريا : منطقة سهول أعالى اليرموك	٣٠ر٠٠٠ (٧ر٠٠٠ فدان)	٤٥	—	٤٥
المجموع	٩٣٦ر٠٠٠	٨٣١	٣٨٢	١٢١٣

ملاحظة : الدونم = ربع فدان تقريبا .

ولكن يؤخذ على هذا المشروع انتقادات هامة يمكن أن تلخص فيما يلى :

١ — لن تستفيد لبنان من هذا المشروع شيئاًمع أن نهر الحصبانى يقع فى أراضيها ، وقد شمل المشروع انشاء سد على هذا النهر فى الأراضى اللبنانية وجعل المياه التى تخزن أمامه لصالح اسرائيل فى الوقت الذى يوجد للبنان فى حوض النهر نفسه مساحة تصل إلى نحو ٣٥٫٠٠٠ دونم صالحة للزراعة ولا ينقصها الا اعداد مياه الرى لها من نهر الحصبانى .

٢ — معظم المياه التى قدرها المشروع للدولة الأردن ستخزن فى بحيرة طبرية . وهذه البحيرة تقع فى اسرائيل مما يجعل الأردن تحت رحمة اسرائيل فيما يتعلق بخزن المياه .

٣ — لاتستفيد سوريا من مياه اليرموك الذى ينبع فى أراضيها إلا بنحو ٤٥ مليون من الأمتار المكعبة لرى ٣٠٫٠٠٠ دونم (٧٠٠٠ فدان) بينما لدى سوريا بحوض هذا النهر نحو ٦٨٫٠٠٠ دونم تحتاج لريها إلى ٨٠ مليون متر مكعب ، وقد تم استصلاح ورى نحو ٢٢٫٠٠٠ دونم حتى الآن .

٤ — نص المشروع على تخزين مياه نهر اليرموك فى بحيرة طبرية . ولكن يعترض على ذلك لسبب هام وهو أن متوسط الملوحة فى مياه نهر اليرموك هو نحو ٨٨ جزء فى المليون ، بينما يبلغ متوسط الملوحة فى مياه بحيرة طبرية نحو ٣٠٠ جزء فى المليون مما سينتج عنه قطعاً ارتفاع الملوحة فى مياه نهر اليرموك، هذا فضلا عن أن الفاقد من مياه البحيرة بالتبخر يصل إلى ٣٠٠ مليون متر مكعب سنوياً . أما إذا تم التخزين فى حوض النهر نفسه فلن يزيد فاقد التبخر عن ١٥ مليون من الأمتار المكعبة سنوياً .

المشروع العربى :

يتلخص هذا المشروع فى الأسس الرئيسية الآتية :

١ — يكون استغلال مياه نهر اليرموك بتخزينها فى مجرى النهر نفسه لأغراض الرى وتوليد القوى الكهربائية لصالح الأردن وسوريا . ولم يسمح هذا المشروع بتخزين المياه فى بحيرة طبرية وذلك للانتقادات التى ذكرت

من قبل . ويرى هذا المشروع أن ينشأ سد بحوض نهر اليرموك عند المقارن أو وادى خالد . . وتكون سعة التخزين الكلية أمام هذا السد ٤٠٠ مليون متر مكعب . ويبلغ نصيب سوريا من هذا المقدار ٩٠ مليون متر مكعب لرى أراضيها فى حوض نهر اليرموك . أما الباقى فللأردن وذلك بعد انشاء ترعة خاصة لأغراض الرى فى الغور الشرقى ،وهو القسم الشرقى من وادى الأردن .

٢ ـ انشاء سد تخزين على نهر الحصبانى الذى يمثل الجزء الأعلى لنهر الأردن والذى ينبع من جبال لبنان الشرقية ويجرى فى لبنان . وتأخذ ترعة من أمام السد وذلك لرى الأراضى اللبنانية التى تقع فى حوض هذا النهر والتى يبلغ مساحتها نحو ٣٥٫٠٠٠ دونم وتحتاج لريها من مياه النهر إلى نحو ٣٥ مليوناً من الأمتار المكعبة سنوياً . وكذلك انشاء محطة على هذا النهر لتوليد القوى الكهربائية لصالح لبنان .

٣ ـ انشاء ترعة تستمد مياهها من نهر بانياس وهو رافد لنهر الحصبانى وذلك لرى الأراضى السورية التى تقع فى وادى نهر بانياس ومقدارها نحو ١٢٫٠٠٠ دونم تحتاج لريها من مياه النهر إلى نحو ١٢ مليوناً من الأمتار المكعبة سنوياً ، وهذه الأراضى تقع كلها إلى يمين النهر . وكذلك انشاء قناة تستمد مياها من نهر البانياس لرى مساحة مقدارها ٨٠٠٠ دونم وتحتاج لريها من مياه النهر إلى نحو ٨ مليوناً من الأمتار المكعبة سنوياً ، وهذه الأراضى تقع إلى يسار النهر .

٤ ـ توفير المياه اللازمة لدى أراضى اسرائيل بمنطقة الحولة وتحتاج لريها من مياه النهر إلى نحو ٩٦ مليوناً من الأمتار المكعبة سنوياً . وتبلغ مساحة هذه الأراضى فى منطقة بحيرة الحولة وما حولها نحو ١٠٨٫٠٠٠ دونم .

٥ ـ استغلال مياه نهر الأردن وروافده لأغراض الرى جنوب بحيرة طبرية وذلك يكون وفقاً للنظام الآتى :

(ا) تحتاج اسرائيل لنحو ٨٤ مليون من الأمتار المكعبة من مياه نهر الأردن وذلك لرى مساحة ٢٦٫٠٠٠ دونم بمنطقة مثلث اليرموك ، ومساحة ٧٨٫٠٠٠ دونم بمنطقة الغور الغربى .

(ب) يحتاج الأردن إلى ٤٣٠ مليون متر مكعب من مياه النهر وذلك لرى أراضيه فى الغور الشرقى والغور الغربى .

٦ — استغلال مياه الوديان والآبار ، ويشمل هذا الاستغلال :

(ا) التصرف المستمر بالوديان وهو مستعمل فعلا للرى فى الوقت الحاضر ويقدر بنحو ٢٦٨ مليون متر مكعب .

(ب) تصرف الآبار ويقدر بنحو ٤٠ مليون متر مكعب .

(جـ) التصرف الذى يمكن الحصول عليه بعد التحكم فى مياه فيضانات الوديان ويقدر بنحو ٧٤ مليون متر مكعب ، بذلك يقدر تصرف مياه الوديان والآبار (وذلك بخلاف نهر الأردن وروافده) بنحو ٣٨٢ مليون متر مكعب .

المشروع الصهيونى :

وهنا نوضح أن السلطات الصهيونية لم ترضى عن المشروعات السابقة لأنها لم تدخل فى حسابها استغلال مياه نهر لصالح اسرائيل . ولكن اسرائيل نسيت أنها تحتل أغنى أراضى فلسطين وأغزرها مطراً، وقد أجلى عنها مايقرب من المليون من سكانها العرب . ولكن اسرائيل تفكر فى مشروعات ضخمة للتوسع الزراعى حتى يزيد عدد السكان إلى أربعة ملايين نسمة وذلك بعد تعمير الأقطار الجنوبية .

ويتلخص المشروع اليهودى فى النقاط الرئيسية الآتية :

١ — يقدر المشروع أن الفائض من نهر الليطانى يعادل ٥٠ فى المائة أو ما يقرب من ٤٠٠ مليون متر مكعب . ويخزن هذا الفائض فى بحيرتين

فى المنطقة التى يتجه فيها النهر نحو الغرب ، عند مرج عيون قرب حدود فلسطين . وتخرج قناة من هذه البحيرات تحمل الماء إلى اسرائيل .

٢ ــ اقامة خزان ضخم فى سهل بطوف شمالى الناصرة لخزن الفائض من الليطانى والأردن . إذ تصل إلى هذا الخزان القناة التى أشرنا اليها من نهر الليطانى وقناة أخرى من بحيرة طبرية . ويغذى خزان بطوف هذا قناة اسرائيل الكبرى التى ستروى السهل الساحلى والنجب الشمالى .

٣ ــ وليس فى المشروع استخدام طبرية كخزان لأن الصهيونيين يستخدمون معظم الأردن ، والعرب معظم اليرموك ، والمشروع الصهيونى هذا يتبع المشروع الأمريكى فى كثير من نقاطه .

ويتكلف هذا المشروع ما يقرب من ٤٧٠ مليون دولار وينفذ فى غضون ٢٥ سنة وهو الوقت الذى يقدر فيه اليهود أن يكون عدد السكان قد بلغ نحو ٤ ملايين . ويكشف هذا المشروع عن نية اسرائيل فى استغلال مياه نهر الليطانى الذى يجرى بأكمله فى أراضى لبنان العربية .

وقد اثبتت الدراسة أنه ليس هناك فائض من مياه نهر الليطانى،وأن كل هذه المياه لازمة للتوسع الزراعى فى لبنان،ويبين الجدول الآتى مقارنة للمشروعات الثلاثة .

مساحة الأراضى بالدونم	المشروع الأمريكى	المشروع العربى	المشروع الصهيونى
لبنان	ــــــ	٣٥ر٠٠٠	٣٥٠ر٠٠٠
فلسطين المحتلة	٤١٦ر٠٠٠	٢٣٤ر٠٠٠	١ر٧٩٠ر٠٠٠
الأردن	٤٩٠ر٠٠٠	٤٩٠ر٠٠٠	٤٣٠ر٠٠٠
سوريا	٣٠ر٠٠٠	١١٩ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠
الجملة	٩٣٦ر٠٠٠	٨٧٨ر٠٠٠	٢ر٦٠٠ر٠٠٠

ويبدو من هذا الجدول اهمال المشروع الأمريكى للتوسع الزراعى فى كل من لبنان وسوريا . كما يبدو واضحاً مدى التوسع الزراعى

الكبير فى اسرائيل وفقاً للمشروع الصهيونى الذى يعتمد إلى حد كبير على مياه نهر الليطانى الذى يجرى فى لبنان . وقد كان هدف الصهيونيين منذ البداية أن يدخل هذا النهر فى حدود فلسطين .

المياه بملايين الأمتار المكعبة فى	المشروع الأمريكى	المشروع العربى	المشروع الصهيونى
لبنان	—	٣٥	٤٥٠ر٧
فلسطين المحتلة	٣٩٤	١٨٢	١ر٢٩٠
الأردن	٧٧٤	٦٩٨	٥٧٥
سوريا	٤٥	١٣٢	٠٣٠
الجملة	١ر٢١٣	١ر٠٤٧	٢ر٣٤٥ر٧

ويبدو هنا أيضاً ضخامة كمية المياه التى تحصل عليها اسرائيل وفقاً للمشروع الصهيونى الذى أدخل فى الاعتبار استغلال مياه نهر الليطانى ، ونصيب اسرائيل من هذه المياه هو ٦٢٠ مليون متر مكعب .

الصهيونية فى السياسة الغربية

أن من سخرية القدر حقاً أن تدعى الصحافة البريطانية والاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الأعلام أن البلاد العربية تتدخل فى شئون بريطانيا الداخلية وتمارس ضغطاً اقتصادياً على مصالحها وذلك بسبب استقالة لورد مانكروفت من مجلس إدارة شركة نورويتش للتأمين ، حرصاً من الشركة على استمرار تعاملها مع العرب . فلقد وحد أنصار الصهيونية فى بريطانيا بين لورد مانكروفت الصهيونى فى نزعته وتأييده لاسرائيل وبين بريطانيا ذاتها ، ووضعوا معادلة مؤداها أن مانكروفت هو بريطانيا وبريطانيا هى مانكروفت ولم يقف الأمر عند حد الدعاية الثائرة المسمومة ضد البلاد العربية ، وانما ترجمت الدعاية إلى سياسة فأعلنت الحكومة البريطانية أنها ستقف إلى جانب الشركات التى تقاطعها البلاد العربية وتمدها بتعويض مناسب . ويبدو أن عقدة قناة السويس قد تيقظت فجأة فى بريطانيا واتخذت من استقالة مانكروفت مناسبة ملائمة لا تستعمل وحدها بل لتثير على العرب والجمهورية العربية بوجه خاص سائر الدول الغربية المنتفعة «بالاستعمار والاستغلال» التقليدى لآسيا وافريقيا . فلقد ذكرت جريدة الأخبار فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٣ أن النائب البريطانى جوليان سنو قد « طلب من الحكومة أن تستشير أمريكا والحكومات الأخرى بشأن مقاطعة الدول العربية للشركات التى تتعامل مع اسرائيل . قال فى كلمة ألقاها بمجلس العموم : يبدو أن هناك دليلا على وجود حركة مماثلة نحو مقاطعة الشركات الأمريكية ... وأجابه سير دوجلاس هوم رئيس الوزراء بقوله : سآخذ رأى ريتشارد بتلر وزير الخارجية فى موضوع التشاور مع الحكومات الأخرى . أما المسألة حتى الآن فموجهة ضدنا وحدنا » .

ولقد نشطت الصهيونية فى الأسبوع نفسه فى أمريكا ، وبلغ الأمر بالحكومة الأمريكية أن أصدر وزير خارجيتها بياناً فى صيغة خطاب موجه إلى النائب ليونارد فاربشتين يقول فيه وفق رواية « الأخبار » فى ١٩ ديسمبر

سنة ١٩٦٣ » وفى الوقت نفسه فان سياسة الحكومة فى الالتزام برفاهية وأمن اسرائيل وقدرتها وعزمها على رد أى عدوان محتمل فى الشرق الأدنى ، سياسة جلية واضحة ، وتدركها تماماً جميع دول هذه المنطقة . ولقد كفلت هذه السياسة ويجب أن تكفل حماية فعالة لاسرائيل من كل عدوان محتمل » .

ومن يتأمل هذه الأنباء الواردة من لندن وواشنطون فى يومين متتاليين لا يسعه الا أن يحكم بأن هذا التجاوب فى تأييد الصهيونية ليس أمراً من أمور المصادفة العارضة ، وانما هو مثل من الأمثلة التى يعرفها المراقبون لعمل الصهيونية فى المجال الدولى . فليست هذه المرة الأولى التى تتجاوب فيها أصداء العمل الصهيونى المشترك بين المجالس النيابية والحكومات فى لندن وواشنطون ، وانما هو استمرار لسياسة صهونية وضعت منذ ست وستين عاماً بقيادة هرتسل فى بازل بسويسرا ، ولا تزال تؤتى ثمارها فى ظروف تبدو أنها أكثر ملاءمة للصهيونية ، ولكنها فى الواقع أخذت فى الانكماش والتخاذل .

ويهمنا فى هذا الموقف أن نتساءل عمن يتدخل حقيقة فى الشئون الداخلية لبريطانيا وغيرها من دول الغرب . أهم العرب أم الصهيونيون ؟ وإن كنا فى هذه المنطقة من العالم نعرف من التاريخ القريب والبعيد أن ليس لنا سلطان على السياسة فى الغرب ، وأن السلطان كل السلطان للصهيونية ، فكيف ومتى بلغت الصهيونية ما بلغت ؟

ان الصهيونية منذ البدأ قد ضمنت مخططها التأثير فى الدول العظمى واستخدامها لتحقيق غايتها من العودة إلى فلسطين وبناء دولة اسرائيلية فيها . وما سياسة دعاة الصهيونية منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ إلا سير على هذا البرنامج وتنفيذ مواده ، وتتلخص فيما يأتى من الاجراءات :

١ — فالاجراء الأول يقرر العمل بكل الوسائل الفعالة على استيطان فلسطين بواسطة زراعين وصناعيين من اليهود .

٢ — والثانى يقرر تنظيم الشعب اليهودى بأجمعه بواسطة منظمات محلية ودولية تلائم الغرض وتتفق وقوانين البلاد التى يعيش فيها اليهود .

٣ — والثالث يقرر تقوية العاطفة والوعى اليهودى القومى .

٤ — والرابع يقرر اتخاذ الخطوات المناسبة نحو الحصول على موافقة الدول العظمى إلى الحد الذى تكون موافقتها ضرورية لتحقيق الهدف الصهيونى .

وهكذا ربطت الصهيونية فى البند الرابع من برنامجها الأول بين أهدافها وبين « الدول العظمى » ، ولم تحدد شخصية تلك الدول ، وانما تركت تحديدها للظروف الدولية والتطور التاريخى الذى تعين اسرائيل فى ظله أى الدول العظمى تستخدم وأيها تهجر دون الالتزام بتحالف ثابت على مر الزمن . وأظهر تاريخ القرن العشرين أن الصهيونية قد نجحت فى الاعتماد على بريطانيا وأمريكا خاصة منذ الحرب العالمية الأولى ، وأضافت فرنسا إلى قائمة الدول التى تستغلها فى تحقيق برنامجها منذ العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ . وهنا نتساءل من أين للصهيونية بهذا النفوذ فى بلاد الغرب ، وكيف أتيح لها أن تكون قوة من القوى الضاغطة الفعالة على مسرح السياسة الغربية ؟ .

إن الصهيونية هى حركة القوميين من اليهود فى القرن التاسع عشر لبناء دولة يهودية ذات سيادة فى فلسطين ، وذلك تحت ضغط الاضطهاد الذى لا قوه فى كل مكان فى أوربا من روسيا إلى فرنسا ، واتباعاً منهم لأسلوب الحركات القومية التى طالبت فى أوروبا أثناء القرن التاسع عشر بحق التحرر والوحدة والحكم الذاتى القومى مثلما حدث فى ايطاليا وألمانيا . وهى حركة فريدة فى نوعها فى تاريخ اليهود منذ أن تشتتوا فى جميع أنحاء المعمورة فى ذلك الوقت أمام غزو الرومان واضطهادهم لهم فى سنة ٧٠ ميلادية . ولم يكن الاضطهاد المتكرر لهم من قبل أوروبا المسيحية كذلك فى العصور الوسطى ليزيدهم الا تشتتاً من ناحية ورغبة فى العزلة فى مهاجرهم من ناحية أخرى مما زاد بدوره فى بعدهم عن المشاركة الوطنية

والمواطنة الحقة بين الشعوب التي لجئوا إلى الحياة بينها . ولكن موقفهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد تغير في أوروبا تغيراً جوهريا ، واختلف مسلكهم باختلاف الظروف الجديدة . فلقد أحسوا بقوة ما كانوا يحسون بها من قبل ، وذلك لما وجدوا من مزايا في ظل التحررية الغربية التي استندت إلى المبادىء المثالية للثورة الفرنسية من ناحية وإلى الأسس المادية للرأسمالية التجارية والصناعية من ناحية أخرى . فلم يعد اليهودى في حاجة إلى أن يغير دينه في طفولته كما فعل دزرائيلي ليصل إلى مناصب السلطة والنفوذ في الغرب ، وانما ألغت التحررية العقبات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت تحول دون نمو الشخصية عند الأفراد العاديين من أبناء الشعوب الغربية على اختلاف مذاهبهم. وفتحت أمام اليهود بين من فتحت أمامهم من طوائف الشعب المدارس والبرلمانات والطبقات والأسواق ووسائل الأعلام وغيرها من مراكز العمل الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادى ، فدخلوها وأمسكوا بمفاتيح النفوذ فيها واحتكروها لأنفسهم واستغلوها في خدمة أغراض الصهيونية المتآمرة المدبرة . ومن يقرأ كتاب هتلر «كفاحى» ويتأمل صورة النفوذ الصهيوني التي رآها في طفولته وشبابه في فيينا يدرك كيف احتكر الصهيونيون لأنفسهم هنالك الصحافة والمسرح وبيوت المال وقوى السياسة ووجهوها مما جعل كسب لقمة العيش في فيينا وقفاً على رضى أصحاب النفوذ من اليهود في كل مجال من مجالات الحياة العامة .

وازاء ضروب القوة التي استشعرها اليهود في مجالات الحياة في الدول الغربية ، أحسوا بالقدرة على العمل الايجابي ، بعد أن كانوا لا يقدرون إلا على العمل السلبي من لجوء متكرر إلى الهجرة والفرار أمام الاضطهاد الأوروبي المسيحى ، وإلى العزلة والانطواء على النفس . فنادوا وهم متسلحون بمعاقلهم في الدول الغربية بالعمل على بناء دولة في فلسطين ، ليضمنوا بذلك مخاطبة العواطف الجماهيرية عند اليهود من المحافظين ، وليسخروا بأسلحتهم الجديدة «الدول العظمى» — على حد تعبير المؤتمر الصهيوني

الأول ـ لتنفيذ مخططهم الاستعمارى فى قطعة من بلاد العرب : ومن الطريف أن التشتت والعزلة اللذين كانا مظهرين من مظاهر الضعف اليهودى أصبحاً فى ظل التحررية الرأسمالية الغربية دعامتين من دعائم الصهيونية، بعد أن عملت منذ برنامجها الأول على تنظيم اليهود فى العالم بأجمعه فى منظمات متناسقة لخدمة مخططهم الاستعمارى . ولم يعد التنسيق بين عمل الصهيونية فى دول أمريكا وأوربا وآسيا وأفريقيا أمراً يخاف على أحد ، وتكشفه مؤتمراتهم الدورية، خاصة بقيادة بن جوريون الأثيمة منذ برنامج بلتمور .

ويكاد يكون منهج الصهيونية فى العمل السياسى واحداً فيما يقابلها من مواقف متعاقبة فى القضية الفلسطينية . فالتنظيم الصهيونى على نطاق دولى هيأه تشتت اليهود القديم ذو أثر فعال فى التحررية الغربية ، وترابط مصالح الغرب فى استغلالها للشرق العربى . وذلك لأن الديموقراطية الغربية بشكلها النيابى وأسسها الرأسمالية قد أعطت الفرصة المتكررة المستمرة للجماعات الصهيونية للضغط والمساومة فى المجال السياسى بخلق النواب والوزراء فى ساحات الانتخاب الشعبى والتنظيمات الحزبية مما يتطلب المال والدعاية والتأييد الصهيونى . ويبدو هذا واضحاً فى وعد بالفور الذى لم يكن ـ كما هو ظاهر ـ وعداً من قبل انجلترا وحدها بل كان فى الواقع وعداً ثنائياً ، إذ أن انجلترا لم تجرؤ على اصدار هذا الوعد الا بتأييد من أمريكا ومن وودرو ولسون بالذات تحت تأثير الصهيونية الأمريكية بزعامة القاضى الصهيونى برانديز .

ومن يحلل الموقف الغربى من الصهيونية فى ضوء الظروف التى صدر أثناءها وعد بالفور سنة ١٩١٧ يرى أن العامل الشخصى السياسى قد سار جنباً إلى جنب مع عامل المصلحة العملة لدول الغرب . فان بالفور نفسه قد دان فى يوم من الأيام لفضل اليهود عليه فى انتخابات سنة ١٩٠٦ بمانشستر كما أشار إلى ذلك ويزمان . وأن الجنرال سمطس الذى كان قطباً من الأقطاب فى تصريح بالفور كان يعتمد فى زعامته وحياته السياسية بين قومه فى جنوبى

أفريقيا على النفوذ السياسى والاقتصادى لليهود ، كما بينت ذلك ساره جرترود ميلين . أما لويد جورج وتشرشل فقد أوضحا بجلاء أن وعد بالفور لم يكن نتيجة عواطف رومانتيكية أو دينية وانما كان تعبيراً عن صفقة بين اليهود والانجليز فى فترة أزمة من أقسى الأزمات التى تعرضت لها انجلترا فى الحرب العالمية الأولى . وإن أهم شروط الصفقة يقوم على تعهد اليهود بدفع اعتمادات مالية كبيرة لانقاذ الموقف الاقتصادى المتدهور فى انجلترا ، ودفع الأمريكيين إلى دخول الحرب وخروجهم من عزلتهم لانقاذ الموقف العسكرى المتدهور بعد تقهقر الجيش الروسى وخسائر الأسطول البريطانى أمام الغواصات الألمانية . واعترف لويد جورج وتشرشل بصراحة أن اليهود بروا بوعدهم ، وبر الانجليز قسراً بوعدهم كذلك لاسيما وأن العرب وليس الانجليز هم الذين كانوا الضحية والفدية المقدمة للصهيونية العالمية . هذا من جهة الجبهة الانجليزية ، أما من ناحية الجبهة الأمريكية ، فقد أثبت الرجل المثالى — الرئيس وودرو ولسون — أن المثالية انما تعتمد على المادية العارية والأنانية الشخصية ، فكل من كتب عن موقفه فى تأييد الصهيونية ، وخذلان العرب ، انما يعترف بأن الرجل الذى نادى بحق تقرير المصير لشعوب العالم قد فضل مصيره السياسى على مصير العرب ، ولم يأل جهداً فى تأييد الصهيونية تأييداً سافراً مع انجلترا أولا وفى المعاهدات الدولية ثانيا .

ويعمل الأسلوب الصهيونى عمله بانتظام وعناد على هذا النحو الذى رأيناه فى تصريح بالفور كلما تجددت الأزمات فى حياة الشعوب الغربية — سواء كانت أزمات سياسية أم اقتصادية ، فتظهر إلى الوجود المساومة الصهيونية فى أسواق السياسة والمال دون خجل أو استحياء ، وتدفع بساسة الانجليز أو ساسة الأمريكيين فى وقتنا الحاضر إلى مثل ما دفعت اليه آباءهم وأجدادهم فى الأجيال السابقة منذ بدأ القرن العشرين . وتكرر الموقف وتكرر الأسلوب الصهيونى فى الوقت نفسه سنة ١٩٤٨ ، وسنة ١٩٥٦ ، وهو يسعى إلى الظهور فى هذه الأيام حول مشكلة تحويل نهر الأردن . وما موضوع استقالة اللورد مانكررفت الا مناسبة ينتهز استغلالها الصهيونيون لخلق الجو السيكلوجى المناسب لما يعتزمون من تآمر جديد .

اسرائيل والتسلل الاقتصادى فى أفريقيا

١ – تجمع بشرى غير متجانس :

لقد كان من المسلم به فى أوساط المشتغلين بالمسائل الاقتصادية إبان قيام دولة إسرائيل فى موضع مركزى وسط المجموعة العربية ، أنها تشكل رأس حربة موجهة فى المقام الأول إلى النظم الاقتصادية للبلدان العربية التى تدخل فى عداد الدول النامية ، ولما كانت الأسباب الحقيقية للحملات الصليبية على الشرق العربى أسباباً اقتصادية فى جملتها وإنما تستتر وراء قناع دينى موقوت ،فكذلك الأمر فيما يتعلق بحركة الوطن القومى لليهود ، تلك الحركة التى دفعت بشرذمة من المغامرين إلى رحاب الأرض المقدسة ليطردوا أهلها ويستحلوا خيراتها . وقد توافد المهاجرون من شتى أصقاع الأرض يحملون معهم حضارات مواطنهم الأولى ، وقد ظهر منذ البداية أن الكثرة الغالبة للمهاجرين قد وفدت من مجموعة الدول المتقدمة فى أوربا ، وبذلك أمكن ليهود أوربا التحكم فى مصائر يهود الشرق (وغالبيتهم من اليمن) واعتبارهم فئة حقيرة متخلفة فى المجتمع الاسرائيلى لأنها متخلفة اقتصادياً وتنقصها الخبرة والمهارات الفنية ، وهذا يؤكد وجهة النظر التى أشرنا إليها وهى أن التجمع اليهودى فى فلسطين تجمع مريض لا يستند إلى مفاهيم واضحة أو إيديولوجية راسخة بقدر ما يستهدف السيطرة السياسية والتسلط الاقتصادى .

٢ – حقيقة الأوضاع الاقتصادية :

وإذا استعرضنا أسس الحياة الاقتصادية فى إسرائيل نجد أنها رغم تدفق المساعدات الأجنبية عليها ، وتوجيه عمليات الاستثمار فيها إلى صناعات استخراجية بدرجة تنم عن تخطيط اقتصادى بعيد المدى موجه إلى الأسواق الخارجية ، رغم هذا فإن حصيلتها من الموارد الأولية الضرورية للصناعة

تعد من الضآلة إلى درجة تهدد هذا البناء كله فى حالة قيام حرب دولية وانقطاع المواصلات مع الدول المنتجة للمواد الأولية ، هذا بالاضافة إلى أن الجزء الأكبر من رأس المال الإسرائيلى المستثمر فى الصناعة والزراعة مستورد من الخارج إما على شكل هبات أو قروض أو فروع للشركات الكبرى ، ولهذا فهو سريع التأثر بتقلبات السوق العالمية وقد ينهار فجأة فى ظروف الأزمات والتقلبات الحادة والهزات العنيفة بحيث لا تكفى حصيلة الخبرة الفنية وحدها لتدعيم نظامها الاقتصادى وضمان استقراره واستمراره، والشيء الوحيد الذى أتاح لإسرائيل أن تقف على قدميها إلى حين هو اتباعها لنظام الاقتصاد الموجه ونظام الكوبوتز التعاونى فى الزراعة ، ومبدأ التنسيق التعاونى فى ميدان الصناعة ومجال التجارة الخارجية .

٣ ــ السوق العربية ، بداية الطريق :

وقد كان حكام اسرائيل يعتقدون بأن عملية غزو البلدان العربية اقتصاديا ستكون هينة سهلة نظراً لما لهم من سابق خبرة بالسوق العربية ، وسيطرتهم الماضية على جميع أوجه النشاط الاقتصادى بها عن طريق تحكمهم فى عمليات الوساطة التجارية والتسويق الداخلى والخارجى بل وامتلاك الجزء الأكبر من رؤوس الأموال المستثمرة ، وأهم من ذلك ارتباطهم الوثيق بأقرانهم من يهود الخارج المتحكمين فى معظم عمليات الوساطة والائتمان بصوره المتعددة فى جميع أنحاء العالم ، ولكن اليقظة العربية التى أملت على العرب ضرورة إنشاء وتوطيد جهاز المقاطعة الاقتصادية ، قضت نهائياً على أحلام صهيون فى السيطرة على السوق العربية مما دفع بهذه الدويلة المزعومة إلى فتح أسواق جديدة وبذلك يممت شطر بلدان إفريقيا النامية مع استمرار تربصها بالمجموعة العربية بطرق لولبية غير مباشرة .

وكان نجاحنا فى عملية حماية بلادنا من التسلل الاقتصادى الإسرائيلى ، كان هذا حافزاً لنا على أن نقبل التحدى وأن نواجه اسرائيل مواجهة عملية عن طريق الدخول كطرف فى منافستها فى الأسواق العالمية وعلى الأخص فى أسواق آسيا وإفريقيا .

٤ — إسرائيل وإفريقيا :

وقد استندت — إسرائيل فى تسللها الخبيث — إلى سلطان الدول المستعمرة التى كانت تجر وراءها السرطان اليهودى فى كل بلد يستقل حديثاً فى إفريقيا وذلك بعد أن تمد العملاء الجدد من اليهود بالقروض والمنح، وتمهد لهم السبيل عند الحكام ، وقد استشرى خطر إسرائيل بالفعل داخل دول **مجموعة برازفيل** التى كانت تأتمر مباشرة بتوجيهات الدول المستعمرة وذلك على عكس مجموعة **دول الدار البيضاء** التى تحلل أغلبها من النفوذ المباشر للاستعمار ولو أنه يبدو أن **التجمع الافريقى فى اديس أبابا** قد أتاح فرصة ذهبية للقضاء على هذا الانقسام وإغلاق أبواب الأمل أمام زيادة النشاط الاقتصادى الاسرائيلى فى إفريقيا . ولا شك أن الفضل الأكبر فى استمرار عمليات التراجع والانكماش الإسرائيلى إنما يرجع إلى السياسة الإيجابية الحكيمة التى تتبعها الجمهورية العربية المتحدة بملاحقتها « للصبى الشرير » وفرض الحصار والتطويق المتحرك فى سرعة ويقظة حول نشاط اسرائيل فى أفريقيا .

٥ — أطراف المنافسة فى أفريقيا :

والسؤال الذى يتبادر إلى الأذهان هو هل يستمر التوسع الاقتصادى الإسرائيلى فى إفريقيا بشكل مطرد ؟ وما هى الظروف التى تحتم انكماشه ؟

الواقع أننا حتى إذا استبعدنا عوامل المقاطعة العربية والحصار الاقتصادى لإسرائيل — فهذه تعجل بسرعة انهيارها فحسب — فان الضرورات الاقتصادية تحكم بأن اسرائيل لا تستطيع الصمود فى مجال المنافسة الاقتصادية فى أسواق إفريقيا ما دام أكثر بلدانها تتبع سياسة « الباب المفتوح » ولا يتجه نحو تطبيق مبدأ « الدول الأكثر رعاية » أو سياسة « الحواجز الجمركية » الشديدة . فثمت بلاد تنتج سلعاً رخيصة وتتبع سياسة « الإغراق » فى إفريقيا مثل الصين وهونج كونج واليابان ، ولا تستطيع إسرائيل التصدى لها لارتفاع تكلفة السلعة الإسرائيلية لظروف ائتمانية تتعلق بارتفاع سعر الفائدة على رأس المال المستورد وظروف أخرى اجتماعية واستراتيجية أى خاصة

بنفقات التسليح المتزايد ، والمقاطعة وما ينجم عنها من صعوبات فى عمليات الشحن كنتيجة لتأثير كابوس «القائمة السوداء» على وكالات النقل البحرى .

وثمت طائفة من الدول المصدرة وهى مجموعة البلدان الاشتراكية فى شرق أوروبا ، وقد أخذت تزاول نشاطها الاقتصادى فى إفريقيا بحرية تامة تطبيقاً لمبدء عدم الانحياز والتعايش السلمى. وهذه الدول تشكل خطراً حقيقياً على إمكانيات التسلل الاسرائيلى إذ أن أجهزتها الاقتصادية ونظمها تستغل كل « فائض القيمة » وتوجهه عن طريق الدولة توجيها سياسياً حسب تخطيط مرسوم ، بحيث تنتفى فيه تكاليف الوساطة فتكون أسعار السلع المصدرة فى متناول الأفراد ذوى الدخل المحدود .

وأما المجموعة الثالثة من الدول المتعاملة مع افريقيا فهى مجموعة **دول السوق الأوروبية المشتركة** التى يمكن لإسرائيل فى المستقبل أن تصبح ذيلا لها لتصريف المنتجات الإسرائيلية التى بدأت تلوح لها بوادر الكساد ، ولكن دول أفريقيا قد تنبهت مؤخراً إلى خطورة ارتباطها بالسوق الأوربية ، إذ أن ذلك يعنى أن يرتبط اقتصاد الدول النامية فى إفريقيا بطريقة تحكمية بعجلة الاقتصاد الأوربى بحيث تصبح الدول الإفريقية مجرد مصادر للمواد الأولية الخاضعة لاحتكار السوق والمقيمة بأسعار منخفضة جداً مما لا يسمح بانتعاشها اقتصادياً ، وذلك لما سيحدث من استمرار انكماش حجم الدخل القومى وهبوط معدله تدريجياً نظراً لثبات الأسعار مع زيادة نفقات المعيشة والاتجاه إلى رفع المستوى الاجتماعى بالإضافة إلى تزايد عدد السكان .

ويبقى (بعد مجموعة دول السوق الأوربية) كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية . أما بريطانيا فإن صناعاتها المرتفعة التكاليف لاتصمد للمنافسة الحرة ، ولهذا فلازال نفوذها الاستعمارى القديم أو بقاياه يلعب دوره فى تأمين نشاطها الاقتصادى فى إفريقيا ، وتستند اسرائيل إلى مركز وسمعة بعض الشركات البريطانية ، فى ترويج منتجاتها بطرق غير مشروعة فى إفريقيا .

٦ — دور الولايات المتحدة فى تدعيم التسلل الإسرائيلى :

والدولة الوحيدة التى كان من الممكن أن تهيء لها إمكانياتها الاقتصادية الجبارة أن تسيطر على السوق الإفريقية هى الولايات المتحدة، وذلك لما تنثره من أموال ومنح وقروض طويلة الأجل على دول افريقيا مما يتيح لها أن تتدخل من وراء الستار فى شئون كثير من دولها لكى تشغل ما تظنه فراغاً بعد زوال التسلط الاستعمارى القديم ، ولكن ارتفاع أسعار منتجاتها جعل من المستحيل أن تصمد للمنافسة فى أسواق أغلب دول أفريقيا لضعف القدرة الشرائية عند المستهلك فيها وانخفاض مستوى المعيشة مما يتعذر معه رواج السلع الكمالية الاستهلاكية التى هى معظم صادرات أمريكا إلى هذه البلدان .

وهذا هو السر فى اختيار إسرائيل للقيام بدور البديل للتوسع الاقتصادى الأمريكى فى افريقيا . فهما ارتفعت نفقات تكلفة السلعة الإسرائيلية إلا أنها أقل بكثير من نفقات تكلفة السلعة الأمريكية على الرغم من مشاركة رأس المال الأمريكى فى إنتاجها ، فمعظم الشركات الصناعية الأمريكية الكبرى لها فروع فى إسرائيل وهى بذلك تمارس نشاطها فى إفريقيا عن طريق هذه الدويلة المزعومة التى تستند إلى أن معظم من يقومون بالوساطة التجارية فى هذه البلدان من اليهود وهم بذلك يتحكمون فى توجيه عمليات التبادل التجارى فيها ، ويتفننون فى إخفاء نواياهم الشريرة خصوصاً بعد اشتداد وطأة أجهزة الإعلام العربية ونجاح المقاطعة ، فتارة يعقدون اتفاقات متعددة الأطراف لتصدير المنتجات الاسرائيلية وتارة أخرى يحاولون التحكم فى السوق عن طريق عمليات ائتمانية لشركات تبدو بريئة المظهر ولكنها ترتبط فى النهاية بتل أبيب .

٧ — بداية النهاية :

ولعل آخر خطوة اتبعتها إسرائيل وهى تعد بالفعل بداية النهاية للتسلل الإسرائيلى إلى افريقيا ، هى محو علاماتها التجارية من صناعاتها وتصديرها باسم تركيا تارة وباسم اليونان تارة أخرى، وهذا يدل على أن اسرائيل بدأت تتخلى عن سياسة التمكين لمنتجاتها فى السوق الإفريقية وأخذت توجه نظرها

إلى مجرد رواج منتجاتها لتأمين الموقف الاقتصادى الداخلى من حيث ضمان استمرار الانتاج الموقوت فحسب بدون نظر إلى كسب أسواق لها تعرف سلعها وتقبل عليها .

ومع ذلك فلا يغيبن عن بالنا ان إسرائيل لا تكف أبداً عن بث سمومها الخبيثة للتفرقة بين أعضاء المجموعة الإفريقية ، فحتى بعد نجاح حركة التجمع الإفريقي فى أديس أبابا وتوحيد جهود دول برازافيل والدار البيضاء نجد أن دعاة هذه الدويلة المزعومة يستغلون العامل الدينى لإشاعة الفرقة ، ولا نريد أن نستطرد فى هذه الناحية فقد تنبه لها المسئولون فى البلدان الإفريقية ، وخصوصاً فى غرب إفريقيا وكذلك فى شرقها وفى المشكلة الصومالية بالذات .

أما مسالك التسلل الإسرائيلى الأخرى فأمرها هين موقوت لأنها تستند إلى إغداق المال على الزعماء الإفريقيين واستضافتهم وإفساد الذمم والأخلاق وهذه مزالق ستكشفها الأيام تحت وطأة الكفاح الوطنى والاجتماعى فى هذه الدول النامية .

٨ — الجمهورية العربية فى مواجهة إسرائيل فى إفريقيا :

وأخيراً وبعد تحليلنا للموقف الاسرائيلى فى افريقيا . يجب أن نعرض لموقف الجمهورية العربية ونشاطها فى هذا الخضم الافريقى العريض فما هى إمكانيات تدخلنا فى هذه السوق ؟

لكى نوضح هذه النقطة يجب أن نميز بين مجموعة الدول العربية والإسلامية ومجموعة الدول الأخرى . فالمجموعة الأولى قد تكون محصنة نوعاً ما ضد التسلل الإسرائيلى ولكن ركوننا إلى هذا العامل وحده قد يكون غفلة منا عن الأساليب الإسرائيلية الخبيثة ولا شك أن جهود وسائل الإعلام العربية الموجهة إلى الشعوب وفاعلية أجهزة الثقافة الأخرى كفيلة بمواجهة هذا الخطر فى المجموعة الأولى . وقد بدأ ظل النشاط الاقتصادى الإسرائيلى ينحسر بالفعل عن دول هذه المجموعة . وآخر عهدنا بأثر من آثار هذا النجاح

العربى **اتفاقية عبد الناصر ــ احمدو بللو** الأخيرة وقبلها **اتفاقية الصومال** وغيرها الخ .. أما المجموعة الثانية من الدول الإفريقية فإننا نتجه إليها بخطى وطيدة عن طريق مؤتمر أديس أبابا وكذلك عن طريق دعمنا لحركات التحرير الإفريقية وتوسعنا فى المجال الثقافى والتعليمى الموجه لشباب افريقيا .

وقد فطنت الشعوب الإفريقية إلى أن ثمت إيديولوجية عربية ولو أنها تقوم على أساس العروبة والإسلام إلا أنها تبشر بالتسامح الدينى ، وتحارب التعصب العنصرى والطائفى ، وتساند حركات الكفاح الوطنى ، وتسند الحركات الاجتماعية للأخذ بيد الشعوب المهضومة الحقوق ، وتؤمن بمبدأ عدم الانحياز وتعمل على صيانة الأوطان القومية الإفريقية من أى تدخل خارجى متسلط ، ومن ثم فإن وحدة الأهداف القائمة على وحدة المصير نتيجة للتجاور المكانى والتداخل الحضارى كل هذا قد هيأ فرصاً ذهبية أمام صناعاتنا الناشئة، ومهد لها سبل التسويق الميسر فى السوق الإفريقية بحيث نجد أن دخول الجمهورية العربية أى سوق يتبعه دائماً انكماش النشاط الإسرائيلى فيها . على أن أمامنا طريق طويل يجب أن نسلكه وهو أن هذه الدول النامية بحاجة إلى مساعدات اقتصادية فى شبه قروض طويلة الأجل ، وقد اتبعنا بالفعل هذه السياسة ولكننا قد لا نستطيع المضى فيها بروح التسابق مع إسرائيل والدول الأخرى نظراً لظروف تصنيعنا الحديث واحتياجاته الضخمة ، وظروفنا الاجتماعية كذلك .

ومن ثم فإنه يتعين علينا أن نضع نصب أعيننا إمكانيات النجاح الأخرى التى أشرنا اليها غير العامل الاقتصادى وحده ، على أن نستمر فى الاتجاهين متبعين سياسة مرنة سريعة الانتقال من اتجاه إلى آخر مع تدعيم صناعاتنا حتى نتمكن من عرض منتجاتنا بشكل دائم يستجيب لطلب الأسواق ويحقق رغباتها وأذواقها . وسنتمكن فى النهاية من القضاء على التسلل الإسرائيلى الاقتصادى إلى إفريقيا نهائياً وبذلك يتحقق ما تخشاه إسرائيل من بوار عاجل لصناعاتها وتعطيل لعمالها وانهيار فى الجهاز الاقتصادى لها مما يعجل بنهايتها المحتومة .

الحضارة العربية
فى مواجهة الصهيونية

الحضارة العربية كغيرها من الحضارات فى صراع مع الصهيونية العالمية ، ولا يحمل هذا الصراع على الظرف الطارىء أو السبب المستحدث ، وإنما هو صراع قديم ومستحكم معاً .

قديم لأنه يرتد إلى نشأة الحضارة العربية وإلى مبادئها التى طالعت بها العالم ، ومستحكم لأنه منوط بالخلاف الناشب بين هذه المبادىء وتلك التى قامت ولازالت تدأب فى خديعة الناس بها .

والنظر إلى المشكلة من هذه الجهة يفضى إلى العدول عن عاجل الحكم وبوادر التقدير ، ويقضى بالروية وطول النظر ، فاصطراع المبادىء والقيم صراع حضارى يطول مداه .

وقد أستطيع أن أبتدر القول بأن المبادىء الصهيونية لا تثبت على التمحيص فى وسائلها وغاياتها ، ذلك بأنها منوطة بجملة من الأسباب الباطلة وكيان موهون لم يستتم عناصره ، ولن يستتمها أبد الدهر .

ولا يقال إن الرائد يكذب أهله ، وانى لأعلم أن التوهين من قدر الخصم والخصومة خطل فى الرأى كبير .

فالزاعمون القوة فى الصهيونية مخدوعون بباطل الخصم عن حق النفس والصديق ، ولا كذلك القضاء العدل والحكم السليم ، فالمكاسب فى طبيعتها مكاسب موقوتة بأجل لا يعتد به فى عمر الأمم والحضارات ، ولا يزال النصر الحاسم فى عرف الصهاينة وراء المقدرة والامكان .

وراء المقدرة والامكان لأن الحضارة البشرية ترصد للخارجين على أصولها شر الجزاء ، فطرة الله ، الا أن الأغضاء عن هذا الجزاء أو الاستخفاف به مردود إلى انتفاء القاضي وانعدام رجل الشرطة فى الحكم والتنفيذ، ذلك عند الكثرة الغالبة من الناس فى الشرق والغرب .

والحقيقة أن هذه الكثرة الغالبة هى علة العلل، فقصاراها فى البصر والتفكير أن ترد الحكم والجزاء إلى الصدفة فى الطبيعة أو اللطف الالهى يسير على غير هدى أو روية .

والحق الذى لا جدال فيه أن البشرية فى حياتها وفى تطورها محكومة بناموس كبير ونظام قوى ، لا تملى للخارجين عليه وانما تأخذ العاق بعقوقه ولا تفسح له أن ينفذ بسمومه إلى مشاربها .

فمكيافيللى وداروين وفرويد وماركس ومن اليهم من غزاة الفكر الانسانى لم تخلص لهم مبادئهم من الطعن والمصادرة والنقض فى أوروبا وفى غير أوروبا بين العلماء والمفكرين .

ولايعنى ذلك أننا نعرى هذه المبادىء عن الحقيقة، وانما هوالحق البسوه بالباطل وهم يعلمون ، وحسبك أن تقرأ البروتوكول التاسع ففيه الجلاء والكفاية يقول :

> « لقد خدعنا الجويم وأدخلنا الغفلة عليهم وأفسدناهم وذلك بتنشئتهم على قواعد ونظريات نعلم جميعاً أنها خاطئة على الرغم ممن اشربوا هذه النظريات وتقررت بمعرفتنا فى أذهانهم » .

وهؤلاء كغيرهم من دعاة الصهيونية يذهبون بمبادئهم إلى أحط ما يمكن أن تقوم عليه المبادىء الانسانية ، ذلك بأنها لا تعطى فى تملق النزوة الطارئة والشهوة الجامحة ، واسترضاء الدافع الشخصى البدائى الذى لاخطر أشد من خطره كما جاء فى البند الخامس من البروتوكولات .

ووجه الغرابة يسقط من اعتبار المحاكين والمترددين إذا رددنا هذه هذه المثالب جميعاً إلى مثلبة واحدة لاجدال فيها يقوم عليها الفكر الصهيونى وما يتفرع عليه من مبادىء ،فى السياسة والاقتصاد والاجتماع فضلا عن الخلق والسلوك ، فهم يصدرون فى ذلك جميعه عن فكرة الاستعلاء والامتياز ، فهم شعب الله ولا حق لغيرهم من شعوب الأرض فى السيطرة والسلطان .

ولا عليهم فيما يعتقدون من التفوق والامتياز ، وانما الأثم كل الأثم فيما يتمخض عنه هذا الاعتقاد من نتائج محتومة ، ذلك بأنهم خلصوا من وراء ذلك إلى أن غيرهم من شعوب الأرض يدخل فى عداد البهائم والحيوان ، ذلك ما يقضى به « الجويم » فى لغتهم .

ومقتضى هذا التعريف أو تلك النتيجة أن « ليس عليهم فى الأميين من سبيل » ، لا يسألون عما يفعلون ، يذبحون أبناءهم ويستبيحون أموالهم ويضللون الأغرار والمتعاقلين .

تلك هى الوسائل التى اصطلحوا عليها ، لا يتناكرونها ولا يتناهون عنها فهى تجرى بينهم مجرى الفعل المشروع ، والعمل المباح ، ذلك بأن الأخلاق قصر على الشعب المختار ، ويسقط الالتزام بها فى غيره من الشعوب أو « الجويم » .

وحيث تعرى الأعمال فى غير الشعب المختار من معايير الخلق والسلوك فلا يستغرب أن تبرر الغاية مختلف الوسائل مهما انحط شأنها عند مكيافيللى . « فلا عيب ولا عار أن تكون جاسوساً أو دساسا بل فضيلة »

ولا غرابة بعد ذلك أن يقول البروتوكول الخامس عشر « إن خطباءنا سيباشرون تفسير المشاكل الكبرى وتأويلها حسب هوانا ، تلك المشاكل التى قلبت الانسانية رأساً على عقب ، تأويلا تخضع معه الانسانية إلى حكمنا الصالح المتسامح »

لقد نالت هذه المبادىء العجيبة من شعوب أوروبا المسيحية ما لم تنله من البلاد العربية على اختلافها فى مدارج الرقى والتطور ، ذلك بأن الشعوب الأوروبية قد انسلخت عن مسيحيتها الحقة وتنكبت المبادى الحضارية القديمة ، فلقد تنكرت لمعنوياتها وارتمت فى أحضان المادة بكل معنى من معانيها .

« فالبرجوازية » سمة من سمات الحضارة الأوروبية تعنى التاجر والصانع فيما تعنيه لغة واصطلاحاً ، كما أن الرأسمالية اظهر فى هذه الدلالة بلا شرح أو تأويل .

أما « دع مالك واتبعنى » فأصبح أمراً للرهبان ومن فى حكمهم من القلة الصالحة .

المال – اذن – هو خطام الحضارة الأوروبية أمسك به اليهود ، وما كانوا ليمسكوا به فى غير العصر الحديث ، وقد غلبت المادية على أمرها فى كل مظاهر الحضارة الأوروبية . يقول بلزاك : « إن المعركة الحاسمة من أجل المسيحية ستثار من أجل مشكلة المال ، وسوف لا يكون هناك تطبيق عالمى واسع للتعاليم المسيحية مالم تحل مشكلة المال »

ومشكلة المال فى أوربا لن يحلها اليهود الا على انقاض الحضارة الأوربية نفسها ، فالذهب عندهم أعظم قوة فى هذا العصر ، ولا شك عندهم أن الحاجة اليه ستضطر « الجويم » إلى أن يكونوا «خدماً أذلاء خاضعين فى استسلام » .

إن الأمل فى أن تعود « خراف بنى اسرائيل الضالة » إلى حظيرة الايمان لا يزحزحنا عن وجهتنا عن تقصى الأسباب وانعام النظر ، ذلك بأن « الضلال » هو محك النظر وبيت القصيد .

فالحضارة العربية تأبى أن يتطرق اليها الضلال أو ينال منها ، هذه حقيقة يثبتها التاريخ القريب وحده ويؤكدها واقع الميثاق .

لقد كان أقصى ما تعلق به المفكرون فى مطلع هذا القرن بعض المبادىء البرجوازية بدعوى النزعة التحررية ، هكذا ذهب فتحى زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين وغيرهم من طليعة ذلك الجيل ، وهم بعد تلاميذ الامام وحفدة الأفغانى ، وغير منكور ما لهذه التلمذة من دلالة قوية يقع عليها الباحث المستأنى .

وهذه الدلالة هى للتى صادرت دعوى النشوء والارتقاء التى ابتدرتها مدرسة المقتطف ، وهى التى رجعت بمنصور فهمى عن وجهة أستاذه اليهودى « ليفى بريل » .

ولا شك أن كثيراً من أساتذة الجامعة الأحياء شاهد على النكوص عن مثل هذه الدعاوى التى لقنوها عن الرعيل الأول من رجال الجامعة المصرية .

وأنت لا ترى فى آدابنا العربية على ما فيها من سمات برجوازية بطلا أسطورياً ينصب نفسه قيما على الناس ، يغتصب أموالهم بدعوى البر على الفقراء والمحرومين كما تراه فى « اللص الظريف » وغيره من الشخصيات الميكيافيلية الخالصة .

لقد كانت مصر — كغيرها من البلاد العربية — هدفاً منشوراً قبل الثورة للمبادىء الصهيونية والدعاوى الماسونية والمذاهب الأوروبية التى قامت على أساس من هذه الدعاوى وتلك المبادىء ، الا أنها لفظت ذلك جميعه ، فعاش غريباً كحباب الماء يطفو على السطح دون أن يتدسس إلى جوفها .

ولافضل فى ذلك جميعه لحاكم أو سلطان ، وانما هى قو ى الحق الصامتة فى التراث العربى تدفع عنه الباطل وتدفع الضلال .

ويجيء الميثاق يستشف هذه الحقيقة الحضارية الكبرى فيقول :

« إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ،

وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

تلك هى شواهد التاريخ وذلك هو نص الميثاق ، لا يجد الباحث بينهما بدا من أن يسلم للحضارة العربية فى قوتها وأن يؤمن بأن ضلال الصهيونية لابد أن يتحطم على صخرة الحق ، يقضى بذلك ناموس الحضارة فى كل عصر وفى كل جيل .

وان حضارة يتصل حبلها أربعة عشر قرنا لأمر نادر النظير فى عرف الحضارات ،ولا شك أن انتظامها شعوباً متباينة فى المأرب والمشرب لدليل منبىء على ما فيها من صلاح للبشرية ، وما ذلك بالقليل .

ولا يذهب الظن أن هذه هى القصيدة التى الهت «بنى تغلب» ، وانما هو البحث والاستقصاء يقفنا على ذات أنفسنا ، ويكشف لنا عن مكامن قوتنا فى الفكر والمبدأ ،ومن وراء ذلك تنطلق جحافل الحق،لا تباهيا بالقوة وانما وضعا لها فى مكانها ، ونزولا بها على حكم الحق ومقتضى المبادىء القويمة .

ولا يكاد الشرق والغرب يجمع على شيء اجماعه على هذا الباطل ينبغى له أن يزول،ولاعبرة بعد بالنوائح المأجورة فى المحافل الدولية وغير الدولية .

واضطلاعنا بهذا الأمر واجب حتمى ، انتصاراً للحضارة الانسانية وإنتفاضاً للبشرية تدفع الطالح من مبادئها بالقوى الصالح .

وإن أفخر ما تفتخر به أمة من الأمم أن تكون هى الرصد المدخر للخارجين على ناموس الحياة الكبير ، وأن تقوم من البشرية مقام الوازع من ضميرها تدفع بالسلطان مالا يندفع عنها الا بالسلطان .

أمثلة من النشاط الصهيونى

فى بعض دول أفريقيا

نيجيريا :

— ترتبط معها اسرائيل باتفاقات تجارية ، اقتصادية ، ثقافية مع تبادل البعثات لاسيما أن أكثر من ٥٠٠٠ أسرة اسرائيلية تستوطن لاجوس

— تركز اسرائيل نشاطها فى قطاع المقاولات عن طريق شركة نايجر سول الاسرائلية وتقوم الشركة ببناء وتشييد المصانع والمطارات والمنازل والجسور والطرق .

— تحصل الشركة السابقة على المقاولات بدون مناقصات وبأسعار خيالية :

— حصلت الشركة مؤخراً على عطاءات بدون مناقصة تبلغ قيمتها ٣ مليون جنيه استرلينى بالاقليم الغربى .

— أما شركة دلزدورف للتجارة فهى تقوم باستيراد البضائع والمنتجات الاسرائلية وتقوم بتوزيعها على المحال التجارية لتسويقها .

— تقوم الشركة السابقة بدفع قيمة البضائع بعد تصريفها مع منح تشهيلات كبيرة فى الدفع . هذا فضلا عما تستورده الشركات الانجليزية من البضائع الاسرائلية .

— تستورد نيجيريا الأسمنت الاسرائيلى لعدم وجود انتاج محلى منه لديها .

ساحل العاج :

— يعد نشاط اسرائيل فى تلك الدولة كبيراً جداً إذ أن هناك (٧) شركات تزاول أعمالها بالاضافة إلى البعثات والزيارات المتبادلة للطلبة وغيرهم وذلك بتشجيع الفرنسيين المسيطرين على البلاد هناك .

— أقامت اسرائيل معرضاً لانتاجها فى ساحل العاج وظلت الصحف ووسائل الاعلام الأخرى طوال أسبوع كامل تبث سالدعاية المغرضة فى نفوس الوطنيين هناك . ومن الجلى أن المهيمنين على وسائل الأعلام المختلفة واقعون تحت النفوذ الاسرائيلى .

— تقوم اسرائيل ببناء فندق كبير سعة (١٠٠٠) حجرة إلى جانب قيام احدى الشركات الاسرائيلية بالمقاولات لبناء وتشييد الأبنية الحكومية التى تبلغ تكاليفها (٥) مليار فرنك وبمقتضى العقد فى هذا الصدد تقوم الحكومة هناك بسداد المبلغ بالتقسيط على آجال مختلفة .

ليبريا :

— تتركز أعمال ونشاط اسرائيل فى قطاع المقاولات وقامت شركة اسرائيلية بتشييد أغلب العمارات فى ليبريا بالرغم من عدم تلك البنايات .

— تمتلت اسرائيل فندقاً فى أجمل بقاع العاصمةبل هو الفندق الوحيد هناك ولقد منحت اسرائيل نصف أسهم هذا الفندق إلى حكومة ليبريا .

— يعد الأسمنت والأسبست والآلات ومواد البناء والبلاستيك والأصباغ والمنتجات الصناعية وغيرها من أهم المنتجات الاسرائيلية التى تستوردها ليبريا .

اثيوبيا :

— بدأت العلاقات التجارية والاقتصادية بين أثيوبيا واسرائيل ضعيفة جداً ثم أخذت تنمو وتتسع فى السنوات الأخيرة لا سيما أن المسئولين فى أثيوبيا يرحبون بقدوم الخبراء والمهندسين والأطباء بل والسماسرة الاسرائيليين .

— قامت اسرائيل بانشاء مصنع لتعبئة البرتقال فى أسمرة .

— قامت اسرائيل بتكوين شركة للأغذية (انكودا) وفتح فروع لها فى أثيوبيا لذبح الماشية وتجميد لحومها ، واتخاذ ميناء جيبوتى على ساحل الصومال الفرنسى لتصدير اللحوم لاسرائيل .

— اعتماد اسرائيل اعتماداً كليا على مواشى أثيوبيا .

— خصصت اسرائيل (٦) بواخر تابعة لشركة زيم الاسرائيلية لنقل الأسمنت منها إلى أثيوبيا .

— أنشأت اسرائيل بواسطة شركتها سوليل بونيه فى عام ١٩٥٩ ثلاث طرق رئيسية حول أديس أبابا طولها ١٢٠ كيلو متراً .

— هذا خلاف المدرسين والأطباء والمدربين فى المعاهد المختلفة وايفاد أساتذة إلى كلية الهندسة الملكية فى أثيوبيا .

السنغال :

— يعد نشاط اسرائيل بها كبيراً أسوة بالدول الواقعة تحت نير الاستعمار الفرنسى ويتركز نشاطها فى أعمال المقاولات والتجارة العامة .

— ترسل اسرائيل الخبراء والفنيين إليها إلى جانب توجيه الدعوات إلى المسئولين لزيارة اسرائيل .

سيراليون :

— لا يختلف نشاط اسرائيل فيها عن غيرها فهو منصب على قطاع المقاولات فى المرتبة الأولى وعلى القطاع التجارى فى المرتبة الثانية .

غانا :

— يتقلص النشاط الاسرائيلى فيها بدرجة محسوسة .

غينيا :

— لا أثر لاسرائيل فيها خاصة بعد ما تقرر فى مؤتمر الدار البيضاء .

فولتا العليا — داهومى — النيجر :

— للسفارة الاسرائيلية أعوان ومكاتب فى تلك الدول تقوم بالدعاية لها على أوسع نطاق ممكن .

— ولقد كان لموقف اسرائيل العدوانى من دول أفريقيا ما أتاح الفرصة للتعرف على نواياها السيئة أكثر مما كنا نعلم فقد تصدت للحركات التحررية فى تلك الدول والتى يمكن ايجازها فيما يلى :

— عارضت مشروع ليبيريا فى تحكيم الأمم المتحدة بين الدول الاستعمارية والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى :

— امتنعت عن تأييد الكتلة الآسيوية الأفريقية فى طلب اجراء انتخابات فى الكاميرون قبل اعلان استقلالها .

— أيدت اتحاد جنوب أفريقيا فى محاولاته لضم اقليم جنوب غرب أفريقيا دون اجراء انتخابات أو استفتاء — كما تؤيده فى مسألة التفرقة العنصرية .

— صوتت ضد جميع المشروعات المقدمة فى الأمم المتحدة عن طريق الدول الأفريقية والآسيوية فى قضية الجزائر كما رفضت الزام فرنسا والجزائر بقبول حق تقرير المصير .

خاتمة

هكذا تبين أن الخطر الصهيونى ينتشر فى عدة جوانب تهدد أمن الأمة العربية وسلامتها ويعترض فى نفس سبيل التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى العالم العربى ، ويحاول أن يفلت من المقاومة العربية بحركة التفاف فى الدول الأفريقية النامية ، وليست مشكلة تحويل مجرى نهر الأردن الا جزءاً من هذا الخطر ومظهراً للمؤامرة المشتركة بين الصهيونية والاستعمار لفرض سياسة الأمر الواقع على العرب من ناحية، وسرقة المياة العربية من ناحيةأخرى وتتلخص مظاهر الخطر الصهيونى فيما يلى :

١ — الحصول على أكبر كمية ممكنة من مياه نهر الأردن لأغراض التوسع الزراعى فى اسرائيل وحرمان الأراضى العربية منها . مع ملاحظة أن زيادة السكان فى البلاد العربية تقتضى التوسع فى مشروعات الرى بتخزين المياه عن طريق السدود . ولذلك تعتبر محاولات اسرائيل لتحويل مجرى نهر الأردن ضربة موجهة ضد النمو الاقتصادى والعمرانى فى البلاد العربية وبالأخص فى الأردن ولبنان وسوريا .

٢ — تحاول اسرائيل عن طريق تحويل مجرى نهر الأردن أن يزيد عدد سكانها إلى أربعة ملايين نسمة بعد أن تتمكن من تعمير المنطقة الجنوبية التى تحتلها . وغير خاف أن زيادة السكان على هذا النمو يستتبعه زيادة قوة اسرائيل البشرية والاقتصادية والحربية لتتمكن من تثبيت أقدامها بصفة نهائية على الأرض العربية المغتصبة وحرمان الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصلية من فرصة العودة إلى أرض الوطن اعتماداً على سياسة التشبع السكانى .

٣ — إن نجاح اسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن يجعلها فى مركز الذى يستطيع المساومة مع الدول العربية ، وهى تتصور أنها بهذا العمل تجر العالم العربى إلى المفاوضة معها وانهاء حالة الهدنة المسلحة لتتفرغ إلى بقية مؤامراتها فى التوسع وتخريب اقتصاديات العرب وسد طريق التقدم عليهم .

٤ — تهدد اسرائيل بتحويل مجرى النهر بالقوة ، وهى تعلم أنها وحدها عاجزة تماماً عن تنفيذ مشروعاتها ، ولكنها مطمئنة إلى مساعدة الاستعمار العسكرية والاقتصادية . والدول العربية من جانبها بعد تجاربها المريرة مع الاستعمار مستعدة لخوض غمار المعركة فى اللحظة المناسبة ، وركوب موجة التحدى إذا كشف الاستعمار عن وجهه صراحة . وفوق هذا لايؤل العرب جهدا فى محاربة الاستعمار ونفوذه مهما لبس من ثياب أو وجد مناصرين بين فلول الرجعية المنهزمة .

٥ — إن مساندة الاستعمار للصهيونية ليس إلا صورة من النفوذ الصهيونى على السياسة الغربية بوجه عام واستمرارا للسياسة وضعها هرتسل منذ ست وستين عاماً فى بازل بسويسرا . فقد ضمنت الصهيونية مخططها التأثير فى الدول العظمى واستخدامها لتحقيق غايتها من العودة إلى فلسطين وبناء دولة اسرائيلية فيها .

٦ — إن الصهيونية تتذرع بكل الوسائل مهما انحطت فى سبيل الوصول إلى اغراضها ولا تتورع عن استخدام القتل والدس والتآمر وتخويف الساسة واغرائهم بالمال والتحكم فى جميع الأجهزة الحساسة فى الدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية .

٧ — إن أساليب الصهيونية فى التسرب إلى أجهزة الحكم فى البلاد الغربية والقبض على ناصية النشاط التجارى والمالى تجعلهم يساومون دون خجل واستحياء ويضمنون مناصرين لهم باستمرار يدعون لهم ويستمطرون الدموع عطفاً على اسرائيل المسكينة .

٨ — تحاول اسرائيل أن تسيطر على الجو الثقافى باغراء الطلاب من جميع انحاء العالم ومن الدول الأفريقية بوجه خاص على تلقى العلم فى اسرائيل وتجزل لهم المنح وتهىء لهم وسائل الاسكان والترفيه ليكونوا رسلا فى بلادهم وليضمنوا اتجاه مشاعرهم عندما يوكل اليهم مسؤوليات متعددة فى بلادهم بعد ذلك .

٩ — تحاول اسرائيل السيطرة على الأسواق الخارجية ومنافسة العرب فى أفريقيا ، ولذلك تهتم بالصناعات التى تحتاجها دولها على الرغم من أن حصيلتها من المواد الضرورية للصناعة ضئيلة جداً . ولكن الجمهورية العربية المتحدة فرضت على اسرائيل التراجع والانكماش فى هذا المضمار .

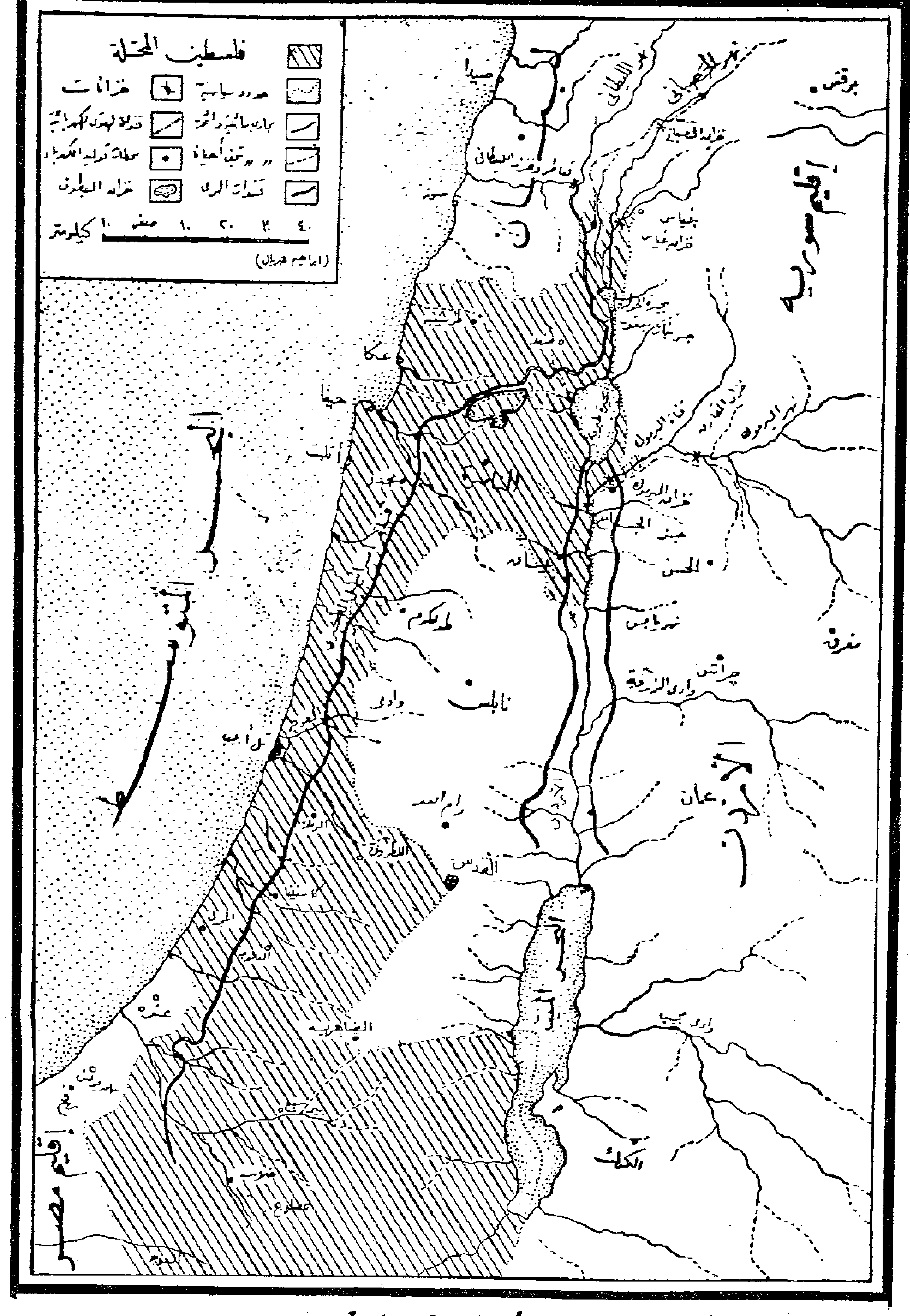
١٠ — تحاول اسرائيل ما وسعها الجهد طمس معالم الحضارة العربية باذاعة الافكار الصهيونية ، مستندة إلى بعض المفكرين الذين احتلوا مكاناً مرموقا من التاريخ ، وكان أغلبهم من اليهود . ولكن الحضارة العربية بما فيها من قيم روحية متأصلة فى أعماق الانسان العربى لتستعصى على كل فنون اسرائيل فى هذا المجال . وسيظل العرب يردون تاريخهم وينهلون من حضارتهم علما وفنا وأدباً ويستعصمون بقيمهم العليا فى وجه نزعات الالحاد والأنانية الفردية .

إن المواطن العربى الاشتراكى خليق بأن يكشف مؤامرات الصهيونية وجدير بأن يقدر خطرها . وهو من أجل ذلك مستعد دائما أن ينتظم فى الصف دفاعاً عن حقه فى الحياة وحق اخوان له فى العودة إلى أرض الوطن .

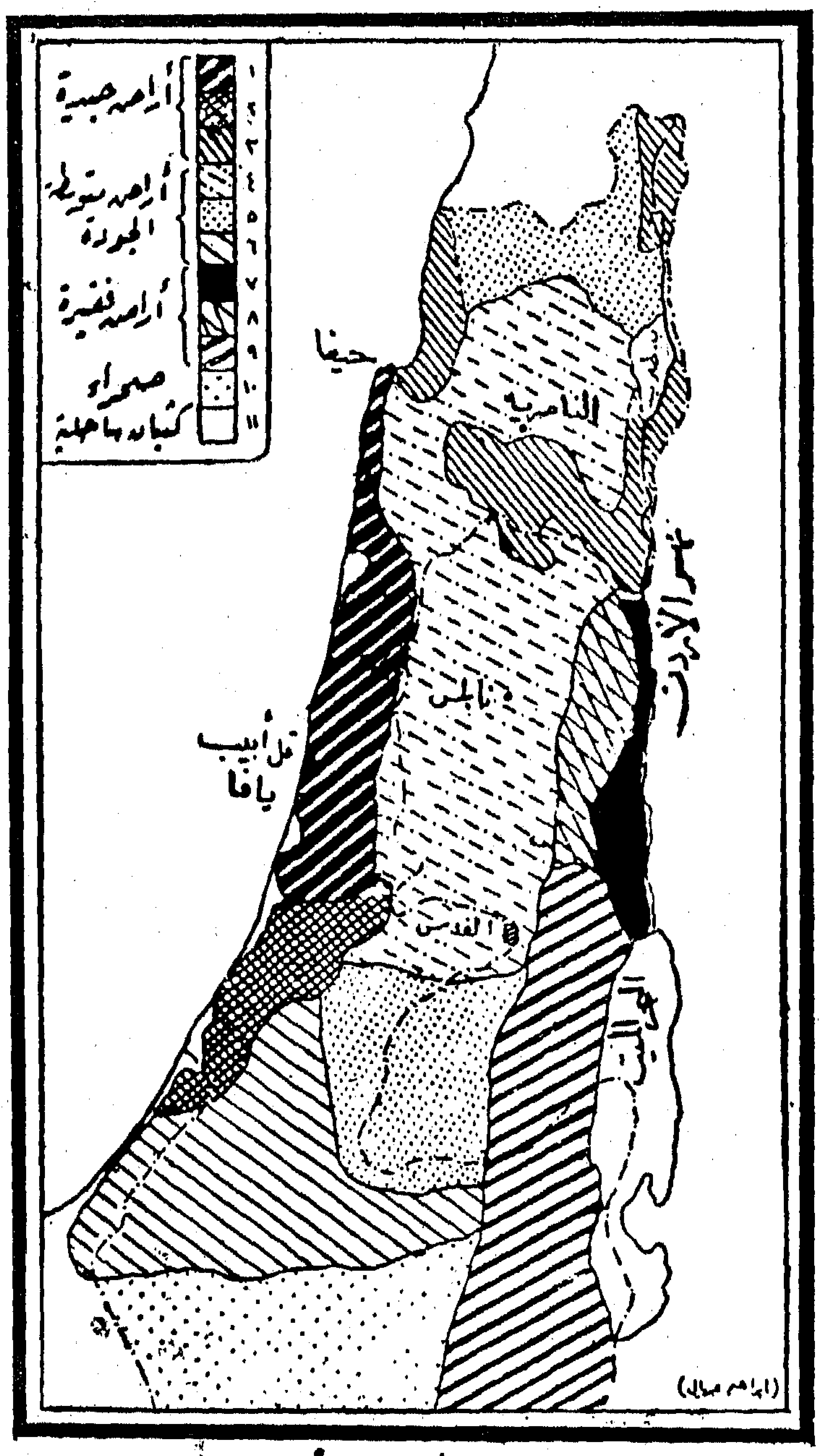
تم بحمد الله ، طبع هذه الدراسة بمطبعة
جامعة الاسكندرية فى يوم الخميس ٨
من رمضان سنة ١٣٨٣ ، الموافق
٢٣ من يناير سنة ١٩٦٤

مدير المطبعة

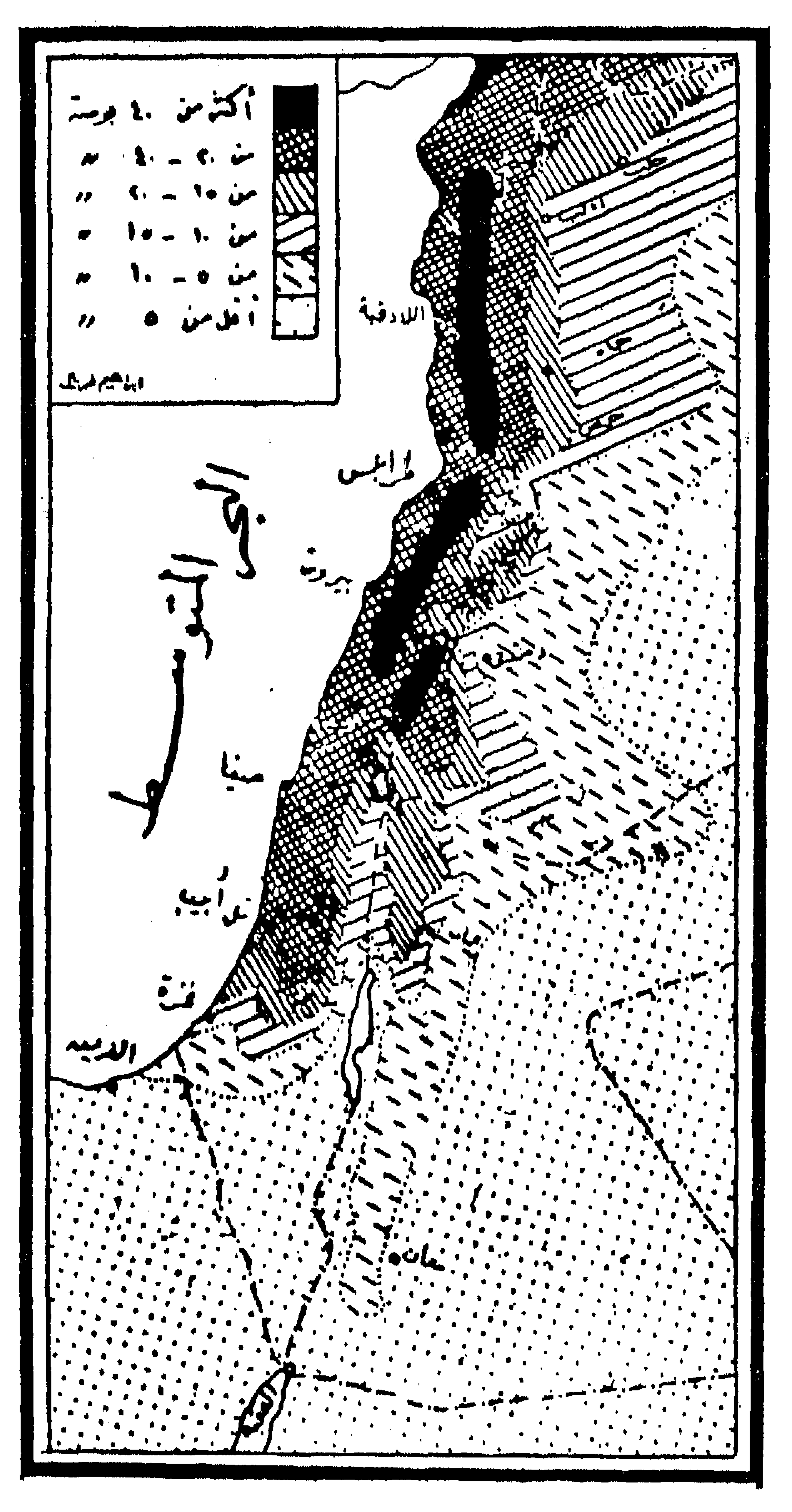
محمد يوسف البساطى



مشروعات الري في حوض نهر الأردن



درجة جودة الأراضي في فلسطين



الأمطار السنوية فى حوض نهر الأردن
والأقاليم المجاورة

(مطبعة جامعة الاسكندرية ٧٠٦/٦٣/٥٠٠٠)

